

سُورَةُ الْإِنشَانِ

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا﴾ [الْإِنشَانِ: ٤]

القراءات: «سلاسل» قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر وهشام ورويس بخلف عنها بالتنوين وإبداله ألفاً وقفاً وقرأ الباقر بن عيسى والتنوين وهو الوجه الثاني لهشام ورويس وهم في الوقف على ثلاث فرق: فمنهم من وقف بالألف بلاخلاف وهو أبو عمرو ومنهم من وقف بغير ألف بلا خلاف وهما حمزة و خلف العاشر ومنهم من وقف بالوجهين وهم ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «سلاسلًا» بالتنوين وكذلك «قواريراً قواريراً» ومنهم من يصل بغير تنوين ويقف بالألف فلمن نون وصرف وجهان: أحدهما- أن الأخفش قال قد سمعنا من العرب صرف جميع ما لا ينصرف قال وهذا لغة الشعراء لأنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه فجرت ألسنتهم على ذلك.

الثاني- أن هذه الجمع أشبهت الأحاد لأنهم قالوا صواحبات يوسف فلما جمعه جمع الأحاد المنصرفة جعلوها في حكمها فصرفوها. وأمّا من ترك الصرف، فإنه جعله كقوله تعالى: ﴿هَٰذِمَت صَوَاعِقُ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَّجِدُ﴾ [الْحَجَّ: ٤٠] أما إلحاق الألف في الوقف فهو كإلحاقها في قوله.. «الظنونا، والرسولا، والسبيلا» فيشبه ذلك بالإطلاق في القوافي.

وقال الزمخشري: قرئ سلاسل، غير منون. وسلاسلًا، بالتنوين، وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجرى الوصل مجرى الوقف. والثاني: أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر وممن لسانه على صرف غير المنصرف.

وقال ابن عاشور: وكتب «سلاسلا» في المصحف الإمام في جميع النسخ التي أرسلت إلى الأمصار بألف بعد اللام الثانية ولكن القراء اختلفوا في قراءتها، فنافع والكسائي وهشام عن ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر قرأوا «سلاسلاً» منونا في الوصل ووقفوا عليه كما يوقف على المنون المنصوب، وإذا كان حقه أن يمنع من الصرف لأنه على صيغة تنتهي الجمع تعين أن قراءته بالتنوين لمراعاة مزاجته مع الاسمين الذين بعده وهما «أغللا» و «سعيرا» والمزاوجة طريقة في فصيح الكلام ومنها قول النبي ﷺ للنساء «ارجعن مأزورات غير مأجورات» فجعل «مأزورات» مهموزا وحقه أن يكون بالواو ولكنه همز مزاجية بـ (مأجورات) وكذلك قوله في حديث سؤال الملكين الكافر «فيقال له: لأدريت ولا تليت» وكان الأصل أن يقال: ولا تلوت.

وهذه القراءة متينة يعضدها رسم المصحف وهي جارية على طريقة عربية فصيحة وقرأه الباقر بدون تنوين في الوصل واختلفوا في قراءته إذا وقفوا عليه فأكثرهم قرأه في الوقف بدون ألف فيقول «سلاسِل» في الوقف وقرأه أبو عمرو ورويس عن يعقوب بالألف على اعتباره منوناً في الوصل وقرأه البزى عن ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر وحفص عن عاصم في الوقف بجواز الوجهين بالألف ويتركها. فأما الذين لم ينونوا «سلاسلاً» في الوصل ووقفوا عليه بالألف بعد لامه الثانية وهما أبو عمرو ورويس عن يعقوب فمخالفة روايتهم لرسم المصحف محمولة على أن الرسم جرى على اعتبار حالة الوقف وذلك كثير فكتابة الألف بعد اللام لقصد التنبيه على إشباع الفتحة عند الوقف لمزاوجة الفواصل في الوقف لأن الفواصل كثيرا ما تُعطى أحكام القوافي والأسجاع. وبعد فالقراءات روايات مسموعة ورسم المصحف سنة مخصوصة به وذكر الطيبي: أن بعض العلماء اعتذر عن اختلاف القراء في قوله «سلاسلا» بأنه من الاختلاف في كيفية الأداء كالمدة والإمالة وتخفيف الهمزة وأن الاختلاف في ذلك لا ينافي التواتر.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِّنْ فِصَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِصَّةٍ قَدَرُوهَا
نَقْدِيرًا ﴿[الْإِسْنَانُ: ١٥-١٦]

القرءات: «قوارير قوارير» قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر بتنوينها معاً ووقفوا عليها بالألف للتناسب وموافقة لرسم مصاحفهم وقرأ ابن كثير وخلف العاشر بالتنوين في الأول ويدونه في الثاني، ووقفوا بالألف في الأول ويدونها في الثاني. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح بغير تنوين فيهما ووقفوا على الأول بالألف لكونه رأس آية بخلف عن روح في الوقف ووقفوا على الثاني بغير ألف إلا هشام فله وجهان: وقف بالألف ويدونها وقرأ حمزة ورويس بغير تنوين فيهما أيضاً ووقفوا بغير ألف فيهما.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «قواريرا. قواريرا» بتنوينها وغير منونين وتنوين الأول منهما، وهذا التنوين بدل عن ألف الإطلاق لأنه فاصلة، وتنوين الثاني لاتباعه الأول لأن الثاني بدل الأول فيتبع البديل المبدل.

وقال ابن جرير: واختلف القراء في قراءة قوله «قوارير، وسلاسل» فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير حمزة «سلاسلًا» و«قواريرًا» بإثبات الألف والتنوين وكذلك هي في مصاحفهم وكان حمزة يُسْقِطُ الألفات من ذلك كله ولا يُجْزِي شيئاً منه وكان أبو عمرو يثبت الألف في الأولى من قوارير ولا يثبتها في الثانية وكل ذلك عندنا صواب غير أن الذي ذكرت عن أبي عمرو أعجبها إليّ وذلك أن الأول من القوارير رأس آية والتوفيق بين ذلك وبين سائر رموس آيات السورة أعجب إليّ؛ إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الْإِسْنَانُ: ٢١]

القرءات: «عالِيهم» قرأ نافع وحمزة وأبو جعفر بسكون الياء وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء «خضر وإستبرق»: قرأ نافع وحفص بالرفع فيهما وقرأ ابن كثير وشعبة بخفض «خضر» ورفع «إستبرق» وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب

يرفع «خضر» وخفض «إستبرق» وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بخفضهما.

التوجيه: قال القرطبي: وقرأ ابن محيصة وابن كثير وأبو بكر عن عاصم «خُضِرَ» بالجر على نعت السُّنْدُس «وَإِسْتَبْرَقُ» بالرفع نَسَقاً على الثياب ومعناه عاليهم «ثِيَابُ» سندس وإستبرق. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب «خضر» رفعاً نعتاً للثياب «وَإِسْتَبْرَقُ» بالخفض نعتاً للسُّنْدُس واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لجودة معناه لأن الخضر أحسن ما كانت نعتاً للثياب فهي مرفوعة وأحسن ما عطف الإستبرق على السُّنْدُس عطف جنس على جنس والمعنى: عاليهم ثيابٌ خضرٌ من سندس وإستبرق أي من هذين النوعين وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون «خضر» نعتاً للثياب لأنها جميعاً بلفظ الجمع وقرأ «إستبرق» عطفاً على الثياب وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض ويكون قوله: «خُضِرَ» نعتاً للسُّنْدُس والسُّنْدُس اسم جنس وأجاز الأخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استقبح له وتقول: أهلك الناس الدينار الصُّفْرُ والدرهم البيض ولكنه مستبعد في الكلام والمعنى على هذه القراءة: عليهم ثيابٌ سندسٍ خضرٍ وثيابٌ إستبرق.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وحفص «خضر» بالرفع على الصفة لـ «ثياب» و«إستبرق» بالرفع أيضاً على أنه معطوف على «ثياب» بقيد كونها من سندس فمعنى عليهم إستبرق: أن الإستبرق لباسهم وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم «خضر» بالجر نعتاً لـ «سندس» و «إستبرق» بالرفع عطفاً على «ثياب». وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «خضر» بالرفع و «إستبرق» بالجر عطفاً على «سندس» بتقدير: وثيابٌ إستبرقٍ وقرأ حمزة والكسائي «خضر» بالجر نعتاً لـ «سندس» باعتبار أنه بيان للثياب فهو في معنى الجمع وقرأوا «إستبرق» بالجر عطفاً على «سندس». وقال الرازي: قرأ نافع وحمزة «عليهم» بإسكان الياء والباقون بفتح الياء: أما القراءة الأولى: «عليهم» فالوجه فيها أن

يكون «عليهم» مبتدأ، و «ثياب سندس» خبره والمعنى ما يعلوهم من لباسهم «ثياب سندس».

فإن قيل: عاليهم مفرد، وثياب سندس جماعة، والمبتدأ إذا كان مفرداً لا يكون خبره جمعاً؟ قلنا: المبتدأ، وهو قوله «عليهم» وإن كان مفرداً في اللفظ، فهو جمع في المعنى، نظير قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَ تَهْجُرُونَ﴾ [الزُّنُور: ٦٧] ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ﴾ [الأنعام: ٤٥] كأنه أفراد من حيث جعل بمنزلة المصدر.

أما القراءة الثانية: «عليهم» وهي فتح الياء، فذكروا في هذا النصب ثلاثة أوجه.

الأول- أنه نصب على الظرف، لأنه لما كان عالي بمعنى فوق أُجري مجراه في هذا الإعراب، كما كان قوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] كذلك، وهو قول أبي علي الفارسي. والثاني- أنه نصب على الحال، ثم هذا أيضاً يحتمل وجوهاً:

أحدها- قال أبو علي الفارسي: التقدير: ولقاهم نضرة وسروراً حال ما يكون «عليهم» ثياب سندس». وثانيها- التقدير: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ حال ما يكون عاليهم ثياب سندس. وثالثها- أن يكون التقدير ويطوف على الأبرار ولدان. حال ما يكون الأبرار عاليهم ثياب سندس. ورابعها- حسبتههم لؤلؤاً منثوراً، حال ما يكون عاليهم ثياب سندس، فعلى الاحتمالات الثلاثة الأولى تكون الثياب ثياب الأبرار، وعلى الاحتمال الرابع تكون الثياب ثياب الولدان.

الوجه الثالث- في سبب هذا النصب، أن يكون التقدير: رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب سندس.

المسألة الثانية: قرأ نافع وعاصم: خضر وإستبرق، كلاهما بالرفع. وقرأ الكسائي وحمزة كلاهما بالخفض. وقرأ ابن كثير: خضر بالخفض، وإستبرق بالرفع. وقرأ أبو عمرو وعبد الله بن عامر: خضر بالرفع، وإستبرق بالخفض. وحاصل الكلام فيه أن خضراً يجوز

فيه الخفض والرفع. أمّا الرفع فإذا جعلتها صفة لثياب، وذلك ظاهر لأنها صفة مجموعة لموصوف مجموعة، وأمّا الخفض فإذا جعلتها صفة سندس، لأن سندس أريد به الجنس، فكان في معنى الجميع. وأجاز الأخفش وصف اللفظ الذي يراد به الجنس بالجمع، كما يقال أهلك النَّاسَ الدينارُ الصَّفْرُ والدرهمُ البيضُ إلا أنه قال إنه قبيح والدليل على قبحه أن العرب تجئ بالجميع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد وذلك قولهم حصي أبيض وفي التنزيل ﴿مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ [يُن: ٨٠] و﴿أَعْمَارُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا الضرب من الجمع، فالواحد الذي في معنى الجمع أولى أن تُفرد صفته. وأمّا إستبرق فيجوز فيه الرفع والخفض أيضاً معاً. وأمّا الرفع فإذا أريد به العطف على الثياب، كأنه قيل: ثياب سندس وإستبرق.

وأمّا الخفض فإذا أريد إضافة الثياب إليه كأنه قيل ثياب سندس وإستبرق، والمعنى ثيابهما فأضاف الثياب إلى الجنس كما يقال ثياب خز وكتان، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلْيَبْسُوثِ ثِيَابًا خَضِرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾ [الأنعام: ٣٠]

القرءات: «وما تشاءون» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بخلف عنه بياء الغيب. وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات وهو الوجه الثاني لابن عامر

التوجيه: قراءة «يشاءون» بالياء تفيد الإعراض عن خطابهم لكفرهم، وأن خطابهم - كما في قراءة التاء - إنما هو خطاب سخطٍ وغضبٍ.

